على الوضع الراهن خدم وسيستمر في خدمة مصالحها جيداً. فالحكومات العربية لم تعطها أي سبب للاعتقاد بغير ذلك (ص ٢٢٠).

ويتبرع شديد للقيام بدور المستشار، للحكومة الأميركية وللحكومات العربية، عندما يقدم النصح، للأولى، حول أفضل السبل لاستمرار التبعية عن طريق عدم «إغضاب» الدول العربية وعندما يقدم النصح، للثانية، حول أفضل الطرق للمحافظة على المصالح الأميركية، عن طريق كبح حركات التحرر في الوطن العربي من شرقه إلى غربه. وحتى عند أخذ قول شديد، بمعناه الظاهري، الذي يحاول الايحاء بأنه يلقي اللوم على الحكومات العربية لأنها لم تضغط بما فيه الكفاية على الشركات الأجنبية لتغيير مواقفها تجاه القضية الفلسطينية، حتى عند ذلك، يدل قول شديد على عدم فهمه لطبيعة العلاقة بين الحكومات العربية وبين مجموعة الشركات. فالطبقات العربية الحاكمة هي الشريك المنطقي لمجموعة المصالح الأميركية والأوروبية، تتقاسم واياها الغنائم والأرباح على حساب مصالح الطبقات الشعبية وآمالها وطموحاتها. لذلك فان أي تهديد للمصالح الحيوية لمجموعة المصارف والأعمال، التي يتحدث عنها شديد، تعني تهديد أساس ووجود الطبقات العربية الحاكمة.

ويفسر شديد أسباب تأثير اسرائيل على السياسة الأميركية، بالاعتقادات الخاطئة والأوهام التي تبثها اسرائيل وتوزعها هنا وهناك في الوسط الأميركي، أو كما يقول: «لا يرجع سبب ضعف النفوذ الأميركي، وبالتالي قوة التأثير الاسرائيلي المكمل وغير المتناسب على السياسة الأميركية ازاء الفلسطينيين، إلى الضغوط المحلية لمصلحة اسرائيل فحسب، بل إلى الفكرة السائدة ــ وان كانت وهماً ــ لا سيما بين المجموعات التأسيسية والمحافظة ــ بأن اسرائيل هي قلعة موالية لأميركا، ومعادية للشيوعية في الشرق الأوسط» (ص ٢٤٠).

لا يكتفي شديد بتبرير السياسة الأميركية، بل يذهب إلى تبرير مواقف الحكومات العربية المتخاذلة من القضية الفلسطينية، حين يفسر أسباب ضعف التأثير العربي على السياسة الأميركية، بقدرة الولايات المتحدة اللامتناهية على اقناع العرب بأنها تقوم ببذل ما في وسعها من أجل القضية الفلسطينية (ص٢٤٣). وهو يفصل بين مواقف هذه الحكومات وبين تركيبتها الطبقية المرتبطة عضوياً بالمصالح الأمبريالية، والتي يعنيها استمرار الوضع الراهن كما يعني حليفها الأمبريالي، يصيغ شديد في خاتمة كتابه جملة من الملاحظات يلخصها على النحو التالي: «ان أهمية قضية فلسطين تفوق مصير الملايين الأربعة من الفلسطينيين، بل هي ضمير العرب وشريان نابض بالنسبة إلى العالم الاسلامي، وربما كانت نقطة الالتقاء الوحيدة بين القومية العربية والصحوة الاسلامية. ولم يعد في امكان الولايات المتحدة تحمّل عواقب حلول مؤقتة لهذا الوضع المتفجر». ثم يخلص إلى القول بأن المسألة الفلسطينية ظلت، بالتالي، حتى سنة ١٩٨١ برميل بارود مهيأ للانفجار في أية لحظة. لقد حان الوقت بعد ما يزيد عن ٣٠ عاماً... لأن تعترف الولايات المتحدة بالحق الطبيعي للشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على أرض وطنه فلسطين» (ص٢٦٣).

لقد استحوذ التيار الديني على أفكار العديد من الكتاب العرب. وقد سبق أن تولى الدكتور صادق جلال العظم تبيان صلة انماط تفكير حملة هذا التيار بالاستشراق في مقاله «الاستشراق والاستشراق معكوساً»؛ ويعيد شديد انتاج اطروحة الخصائص الثابتة للمجتمع الاسلامي فيتوجه إلى الولايات المتحدة بالتحذير من عواقب انتهاج سياسة تمس كيان وخصائص هذا المجتمع.

وبعد مضي ما يناهز الـ٣٢ عاماً على اغتصاب فلسطين، وبعد عجز «القومية العربية» و«الصحوة الاسلامية» (بما هما التعبير الايدلوجي عن مصالح الطبقات الحاكمة) عن توفير الحدود الدنيا من مستلزمات الصمود، يتبرع شديد برفع رايتهما، في مواجهة الاعتداء الأميركي على حقوق الشعب الفلسطيني، صارفاً النظر عن كل دروس التاريخ العربي وما أفرزه هذا التاريخ من تآمر مارسه منتمون إلى الصف العربي والصف الاسلامي على القضية الفلسطينية والعربية.

عباس مراد